مع الأدباء

١ - نجيب محفوظ

تقديم فاروق شوشة

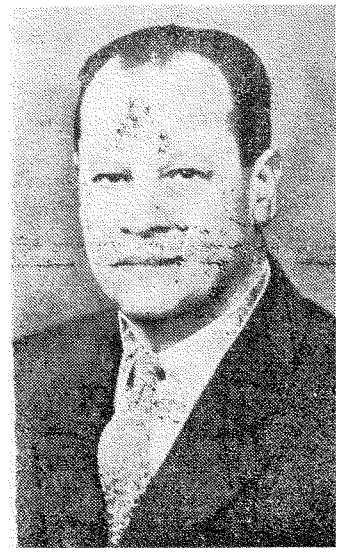

* هذه هي الحلقة الاولى من السلسلة التي يقدمها الاديب الاستاذ فاروق شوشه في برنامج « مع الادباء » من البرنامج الثاني باذاعة القاهرة . وهو يهدف الكشف عن حياة ادبائنا العرب وفكرتهم وفنهم ، وتفسير العلاقة بين الاديب العربي وأفكاره وانتاجه ، كما يراها الاديب نفسه، لا الناقد ولا المؤرخ . كما يرمي الى تقديم اراء ادبائنا عن بعض مسائل الفكر العامة والخاصة ، التي يثيرها انتاجهم في أذهاننا . وسوف توالي « الاداب » قراءها بحلقات هذا البرنامج الهام واحدة بعد اخرى .

السؤال الاول :

■ حياة الكاتب لا تنفصل ابدا عن انتاجه . ومن الطبيعي ان تعكس صورا منها في رواياتك . فالى اي حد تصور هذه الروايات الاجواء التي عشت فيها ؟

الاجابة :

كل خيال يستمد عناصره من الواقع . كل ما في العمل الفني من مكان وزمان واشخاص : مقتبس من الحياة التي عاشها مؤلفه او شهدها. وحتى الذي يتخيل رحلة الى القمر ، انما يستمد عناصر عالمه الجديد من الارض . والجدير في العمل الفني بعد ذلك هو المؤلف ، اي فكرته واحساسه . وذلك هو الذي يجعل من العناصر القديمة انشاءات وتكوينات جديدة .

السؤال الثاني :

■ بدأت حياتك الاولية بكتابة القصة القصيرة والمقالة ، ولكنك انتهيت الى كتابة الرواية . فلماذا اخترت هذا الشكل الادبي في النهاية ؟

الاجابة :

قد يكون لذلك اكثر من سبب . فمن الطبيعي ان يبدأ الكاتب تجاربه باشكال يمكن انجازها في وقت قصير ، وبمحاولات لا تستعصي على النشر ، ولو في المجلات والصحف . وقد يكون السبب ان الانسان لا يعرف نفسه الا بعد تجارب متعددة، هذا الى مزايا الرواية الفنية: فالحق انها من حيث الامكانية : تتضمن امكانيات الاقصوصة والمقالة والمسرحية والشعر ، اي انها تتسع لكل تعبير ادبي .

في الرواية تجد اللحظة او الموقف الواحد اللذين تمتاز بهما الاقصوصة وفيها تجد التحليل والنقد كما في المقالة ، وتجد الحوار والموقف الدراماتيكي كما في المسرحية . وفيها متسع للتعبير الشعري والخيال الشعري ، وان وجد الاستعداد لهما ، كما في الشعر . بل ان في الرواية امكانيات الوسائل التعبيرية الاحدث منها كالاذاعة والسينما . وبينما تجد في كل شكل فني مجالا محدودا للتعبير لايستطيع الفنان ان يتجاوزه ، فان الرواية لا حدود تحدها .. فهي شكل فني لا نظير له .

السؤال الثالث :

■ من « القاهرة الجديدة » حتى « الثلاثية » مر انتاجك الروائي بتطورات فكرية معينة .. فهل لك ان تحدد لنا مراحل هذا التطور .. والخصائص البارزة لكل مرحلة ؟

الاجابة :

توجد في هذه المرحلة افكار متطورة .. كما توجد فكرة ثابتة . الافكار المتطورة .. بدأت بالوطنية ، في الوقت الذي شغل فيه الناس بالقضية الوطنية ، وساقني ذلك الى مصر الفرعونية باعتبارها اصل القومية المصرية ، تلا ذلك اهتمام واضح بالافكار الاجتماعية ، مبعثه الشعور بالاضطهاد الاقتصادي والسياسي كما ترى في « القاهرة الجديدة ـ خان الخليلي ـ زقاق المدق ـ بداية ونهاية » . ومرحلة اخيرة تتمثل في « الثلاثية » وهي عبارة عن دراسة تبدأ من التاريخ الحديث حتى اليوم ، وقد تبلورت فيها الاشتراكية كفاية لتطورنا وعلاج لآلام مجتمعنا ..

اما الفكرة الثابتة في جميع المراحل فهي الايمان بالفن كجوهر لا يجوز التضحية بقيمته الجمالية في سبيل هدف او مبدأ ، اذ لاتناقض بين الفن الجميل والهدف النبيل .

السؤال الرابع :

■ اكثر الكتاب سوداوية وتشاؤما نجد في انتاجهم لحظات بهيجة . ولكن كتاباتك تتسم دائما بحزن بالغ حتى في لحظات الفكاهة . هل يدل ذلك على انك حزين بالفعل ؟ ام ان لك هدفا من وراء تأكيد الحزن في الحياة عن طريق ابطال الروايات ؟

الاجابة :

لم اتعمد الحزن ، لكنني كنت حزينا بالفعل . ومن جيل غلب الحزن عليه حتى في لحظات البهجة ، ولم يوجد به سعيد الا من كان لا مباليا او من الطبقة العالية .. غير الشعبية .

وليس من الغريب اننا كنا نكتب قصصا حزينة ، لكن الغريب كان ان نكتب قصصا مرحة .. لكن الحزن غير السوداوية والتشاؤم . السوداوية مرض نفسي يصيب الفنى كما يصيب الفقير . ولست مريضا فيما اعلم ، والتشاؤم رفض للحياة وانكار لقيمها .

وشخصياتي محبة للحياة ، ولحياة أفضل . ولكن تصرعها ظروف خارجة عن ارادتها .

السؤال الخامس :

■ في اعمالك الروائية تتحدث كثيرا عن الزمن والموت . وتوفيق الحكيم يلح في اعماله الادبية ايضا على هذين العنصرين . هل نستمع الان الى فكرتك الكاملة عن الزمن والموت ؟

الاجابة :

سابتعد عن الفلسفة ، فلا مجال هنا للحديث عن الزمن الرياضي او الزمن النفسي . الزمن بالنسبة للفرد هو هادم لذاته ومفني شبابه وصحته ، والقاضي على اصدقائه واحبائه .

والموت هو النهاية .. هو الفناء .. ، ولقد خرجت بدرس من تاملي للزمن والموت ، هو ان انظر اليهما بعين الانسان الاجتماعي لا الفردي .. هما امام الفردي مصيبة .. لكنهما امام الاجتماعي وهم .. او لاشيء.

ماذا يفعل الزمن بالمجتمع البشري ؟ لا شيء .. او هو يرقيه وينهض به ، ففي اي لحظة ستجد مجتمعا واسعا ومركزا مشعا بالحضارة .

ماذا يفعل الموت بالمجتمع البشري ؟ لا شيء .. ففي اية لحظة ستجد مجتمعا يعج بالملايين ..

السؤال السادس :

■ ينتزع الروائي نماذجه الروائية من الشخصيات التي عرفها في حياته ، واحيانا يركب الشخصية الروائية من مجموعة شخصيات انسانية مر بها .. فالى اي حد تعتمد في خلق شخصياتك الروائية على اناس حقيقيين ؟

الاجابة :

العلاقة بين الشخصية الروائية والشخصية الطبيعية تظهر في المعادلة الاتية :

الشخصية الروائية = شخصية طبيعية + المؤلف . فاظهار شخصية طبيعية في عمل فني كما هي في الحياة .. محال . فليس لدينا الوقت او الفرصة لمتابعة شخص في الحياة ـ في ظروفه واحواله ـ ولو انقطعنا له . الشخصية الطبيعية عند دخولها في الرواية تتخذ وظيفة جديدة وتدل على معنى جديد ، وتكون جزءا من لوحة كبيرة ، حتى اننا في النهاية ننسى الاصل ،ولايبقى لنا الا الشخص الخيالي باعتباره الخادم لفكرتنا ولاحساسنا . فلكل شخصية اصل في الحياة . ولكنها في الرواية غيرها في الحياة .. والا ما كانت فنا على الاطلاق .

خذ مثلا : الحجر في الجبل ، والحجر في الفيللا ، ستجده في الحالة الثانية قد اخذ معنى جديدا واكتسب وظيفة جديدة .

السؤال السابع :

■ يقولون ان كل شخصية روائية تعكس دائما جزءا من ذات الفنان. فاي ابطال رواياتك ترى فيه نفسك اكثر من غيره ؟

الاجابة :

كل شخصية تعكس جزءا من ذات الفنان . ليس من الضروري ان تحمل بعض صفاته . ولكن صلتها به تتحدد على اساس انه كمل عناصرها بخياله ، واسبغ عليها المعنى المراد بعمله الفني ، ثم قبل ذلك باختياره لها بما يدل على انها تلعب دورا في اهتماماته الذهنية.

وليس ما يمنع من ان يتخذ الكاتب شخصية لتدل على بعض خواصه امراة كانت ام رجلا ، فقد قال فلوبير انه هو مدام بوفاري .

وللاجابة على سؤالك اقول ان ازمة كمال العقلية في الثلاثية كانت ازمة جيلنا كله ، وكنت اظنها خاصة بي حتى ادعاها لنفسه بعض الاصدقاء والنقاد انفسهم .

السؤال الثامن :

■ انت تكتب عن شخصيات شعبية في الغالب . ولكنك تجري على ألسنة هذه الشخصيات حوارا عربيا فصيحا .. ويقول البعض ان هذا يفقد القصة واقعيتها .. ما رايك انت ؟

الاجابة :

لنبحث عن الاجابة على ضوء العلاقة بين الواقع والواقعية .. ليست الواقعية صورة لما يقع ، ولكن صورة لما يحتمل وقوعه . الواقع يتغير في الواقعية . ولها معادلة هي :

الواقعية = الواقع + الفن. فالشخص في الحياة ليس هو حرفيا في الرواية ، وكذلك الحادثة والمكان والزمان . فماذا يمنع ان تكون لغة الحوار في الرواية مختلفة عن الواقع في نطقها ولهجتها فقط ؟ ... لقد اضعفت العامية الواقعية بعد ان تهيأ للبعض انها وحدها كافية ، بينما الفصحي تجعل الكاتب يتحرى الواقعية النفسية والمادية الى اعماقهما .

السؤال التاسع :

■ دعنا يا سيدي ننتقل الى اسئلة اكثر خصوصية .. ان الكثيرين يريدون معرفة ما اذا كنت ترسم صورة متكاملة للرواية قبل ان تشرع في كتابتها ام انها تكون غير واضحة تماما عندما تبدأ في الكتابة ؟

الاجابة :

الرواية قد تبدأ من احساس ما ، فكرة ما ، موقف ما .. ولكن قد يحدث ذلك قبل الشروع في التنفيذ باعوام: عام واحد ،عامين ، عشرين .. .وقد يعاود الكاتب احساسه او فكرته او الموقف في اوقات متباعدة .. حتى يعلم يوما ان فكرته ـ مثلا ـ نضجت وتبلورت وانها تطالب بالخروج ..

عند ذاك اشرع في عمل تخطيط عام يبني مراحلها دون ذكر للتفاصيل والمواقف والاحوال ..

ثم ابدأ في الكتابة .. فتاتي اشياء كثيرة وكانها تاتي من وحي القلم. فاذا ابدأ العمل وصورته العامة واضحة .. العامة فقط دون التفاصيل.

السؤال العاشر :

■ بعض الادباء يكتبون كل يوم ، وبعضهم لا يكتب الا عندما يحس بوجود الهام .. ماذا تفعل انت ؟

الاجابة :

في فترة تكوّن الفكرة ، قد يمر عام او عامان دون ان امسك بالقلم .. اما اذا وصلت الى مرحلة التنفيذ فان المسالة تتحول الى عمل يجب ان ينجز ، ولن ينجز الا بالارادة والصبر ، فلا اعرف دلال الالهام ، وانما اعرف ان على ان اجلس الى مكتبي كل يوم ... ساعة او ساعتين حتى افرغ من العمل في عام او عامين ، وان جاز لنا ان نحتمل دلال الالهام في قصيدة او اقصوصة ، فمن غير الجائز ملاينته في عمل يحتاج الى عام او اثنين او ثلاثة .. لنفرغ منه .

السؤال الحادي عشر :

■ هناك تفاصيل كثيرة في رواياتك مما يوحي بانك تسجل ملاحظات قبل البدء في الكتابة . فهل هذا صحيح ؟ ام ان لهذه التفاصيل سرا اخر؟

الاجابة :

قلت لك انني لا اسجل التفاصيل قبل البدء في التنفيذ .. لكننا

كاحياء فنحن اشبه بمسجل يلتقط التفاصيل التي تهمنا طول الحياة.

ربما كانت اهم تفاصيل نلتقطها هي تلك التي نلتقطها قبل ان ندرك اننا سنستغلها فتجيء دون توجيه . واكثر التفاصيل في القصص صناعة ومكر لايهام القارىء بان ما يقرؤه حقيقة لاخيال . اذ انه يثبت الموقف او الشخص كحقيقة مثل التفاصيل المتصلة به ، وكلما دقت كان القارىء اسرع الى تصديقها :

السؤال الثاني عشر :

■ عندما يصبح الفشل سمة من سمات شخصيات روائي معين ، فانه يقصد به حينئذ فكرة معينة .. فما هدفك انت من الاصرار على ربط معظم ابطالك بالفشل ؟

الاجابة :

الاجابة تقتضي دراسة اسباب الفشل ، ومن معرفة هذه الاسباب تتضح اهداف الكاتب ، واغلب شخوصي يتعثرون بعقبات اجتماعية معينة تشير بوضوح الى ما يريد الكاتب .

السؤال الثالث عشر :

■ بدأت حياتك الادبية بكتابة ثلاثة اعمال تاريخية كبيرة : « عبث الاقدار » و « رادوبيس » و « كفاح طيبة » ، ثم انصرفت عن التاريخ كمصدر لادبك الى واقع الحياة المعاصرة . فمباذا تفسر انت هذا التحول ؟ وهل ترى انه من غير الممكن علاج الحاضر من خلال الماضي ؟ ثم هل انت مستعد في المستقبل لكتابة روايات تاريخية اخرى ؟

الاجابة :

قصصي التاريخية من نوع الرومانس ، ومن الطبيعي ان نميل في مطلع حياتنا الى الرومانسية . وبعد ذلك غلب على الاهتمام بالواقع فانتزعني من الرومانسية . ومن الممكن جدا معالجة الحاضر من خلال الماضي ، بل الحق ان رادوبيس وكفاح طيبة : قصد بهما الحاضر اكثر من الماضي .

وقصة توماس مان التاريخية عن « آل يعقوب » هي دراسة للموقف الانساني الراهن من خلال التاريخ . ويبدو ذلك اوضح من القصص الفلسفي الذي يتخذ من التاريخ مناسبة ليس الا لتصوير الحاضر ، مثل كاليجولا لكامو ، واوديب لجيد ، واكثر مؤلفات الحكيم الفلسفية ، وبعض مسرحيات باكثير ورواياته التاريخية . وانا لا استبعد ان اعود الى التاريخ .. فكثيرا ما تستعصي علينا دراسة حاضرنا لسبب او لاخر.

السؤال الرابع عشر :

■ لا يصعب على المتأمل في انتاجك ـ وعلى الاخص رواياتك الاخيرة ـ ملاحظة وجه الشبه احيانا بينه وبين انتاج المدرسة الطبيعية التي نشأت في فرنسا خلال القرن التاسع عشر ، وعلى الاخص فنانها الاول اميل زولا ، فهل تأثرت حقا بهذا الكاتب وهذه المدرسة ؟ ام ان وجود شخصية كشخصية « ياسين » في الثلاثية كانت له مبررات اخرى ؟

الاجابة :

الحق اني لا ادري ما هي الصلة بين ياسين بالذات والمدرسة الطبيعية، لكن سؤالك عامة يستحق الاجابة .

واقول لك اني لم افكر في المدرسة التي انتمي اليها ، فهذه مهمة الناقد اولا ، ولكن اذا تصورنا « الطبيعية » على انها الواقعية الملتزمة للمنهج العلمي فلا يبعد ان اكون ممن ينطلعون اليها وهذا طبيعي في عصرنا العلمي .

وقد قرأت زولا كثيرا ..

لكني قرأت للمدرسة الطبيعية ، بقدر لا بأس به ، اي الكتاب الذين تأثروا بزولا .. مثل جلزورثي وبنيت وويلز وفولكنر ودوس باسوس .. والحق ان التعبيرية والسريالية جاءتا كرد فعل للطبيعية ، ولكن الطبيعة لم تمت ، وهي ـ وبخاصة في احوال الاعتدال ـ لا يمكن ان تموت اذا تخلى الانسان عن العلم ومناهجه .

ايضاح :

في الواقع ، الذي استدعى الاشارة الى «ياسين » بالذات ، هو ملاحظة ان المدرسة الطبيعية في اوروبا كانت تستفيد الى مدى بعيد من المكتشفات العلمية الحديثة وقتها ، ولو اخذنا مثلا لذلك تاثر كتاب هذه المدرسة في كثير من اعمالهم بقوانين الوراثة مثلا ، فسنرى بوضوح ان ياسين قد حكم عليه سلفا بهذا القانون في الثلاثية . فقد استقطبت شخصيته كل السوء والشر اللذين كانا في اسرته .. ومن اليسير التنبؤ بنهايته منذ اللحظة الاولى .

الاجابة :

يصح .. على كل حال ما اهتم به هو تصويري لشخصياتي على انها في حالة صراع وتأثر مع البيئة المادية المحيطة بهم بالفعل ..

السؤال الخامس عشر :

■ على ذكر التأثر بالكتاب الاخرين، يصعب علينا ان نسألك بمن تأثرت في كتابتك للرواية من الكتاب العرب .. فبمن كان تأثرك من كتاب الغرب ؟ ومن الكاتب الذي تفضله وترى انه اقرب الى نفسك : قارئا وكاتبا ؟

الاجابة :

الواقع اني قرأت اول ما قرأت لطه حسين والمازني والحكيم والعقاد . كما اني قرأت للقمم المعروفة في الفن الروائي .. اما احبهم الى نفسي فاقل تصفية ممكن ان اصل اليها في ثلاثة وهم : تولستوى ، بروست،مان.

السؤال السادس عشر :

■ في الجيل الذي يليك من الكتاب الشبان ، يصعب علينا ان نعثر على مجموعة نحاول ان تواصل الطريق . فهل ترى ان ذلك راجع الى ان الرواية لم تعد فن العصر ؟ ام ان الكتاب الشبان يفتقرون الى الامكانيات التي تجعل منهم روائيين ناضجين ؟

الاجابة :

من الطبيعي ان يبدأ الشبان بالاقصوصة لاسباب تتعلق باصول التدريب واخرى تتعلق بالنشر .. وقد يكون للموهبة حكم في هذا .. وغير بعيد ان يكون العصر انسب للاقصوصة منه للرواية ، اذ انه عصر اضطراب ، وقلق ، وقلقلة . والرواية تحتاج الى قدر من الاستقرار. اما عند الاضطراب فاللقطة السريعة اجدى في التعبير عن الموقف ..

وعلى اي حال فالفن لا يقاس بالحكم .

السؤال السابع عشر :

■ امللت اعمالك الادبية بتسجيل امين للحياة الاجتماعية والروحية للمصريين في الحقبة التي تناولتها . فما الفكرة او الفلسفة التي خلصت بها عن الشعب العربي في مصر عموما ؟

الاجابة :

لم يلق شعب مالقي الشعب المصري من الاضطهاد ، ومن هذا الموقف تأكدت فيه فضائل يجب ان تبقى ، ووجدت رذائل يجب ان تذهب . الاضطهاد اكد فيه الصبر الذي استمده من حضارته الزراعية . كما اكد فيه الصمود الذي ينتهي به عادة الى البقاء بدل الفناء . والاضطهاد

منعه من الاعتداء على الغير واستعبادهم ، فضعفت به غرائز الاعتداء والتوحش ، وحل محلها انسانية ولطف واستعداد للمعاشرة وهي صفات سيحتاج اليها الانسان عندما يحل مشاكله ويخلص من الصراع والحرب .

لكن طول الاضطهاد انتهى به الى اعتياده ، والاستهانة به ، والاكتفاء بالسخرية منه سرا ، ومنافقة الظالمين جهرة ، فكثيرا ما سكت حيث يجب ان يصرخ ، وسخر حيث يجب ان يضرب ، ونافق حيث يجب ان يسكت على الاقل .

وهذه رذائل علينا ان نتخلص منها بصدق واخلاص .

السؤال الثامن عشر :

■ رواية « السكرية » تدل على ان احداث الثلاثية ما زالت تنمو .. فهل لو قدر لك ان تؤرخ للفترة الاخيرة من حياة الشعب العربي في مصر بعد الثلاثية . هل تحس كفنان بان فيها من التغير ما يستحق التسجيل ؟

الاجابة :

يوجد الكثير مما يستحق التسجيل ، غير ان مجتمعنا يجتاز فترة من التطور تتلاحق احداثها . في هذه الحالة كما قلت يكون المجتمع اصلح للتسجيل المركز السريع كما في الاقصوصة والشعر والمقالة .

ومن الصعب ـ عموما ـ من الناحية الفنية ، ان نعيش فترة ونعبر عنها في نفس الوقت . ينبغي ان تمر فترة طويلة حتى يستقر كل شيء وتتضح النتائج وتستوعب الثورات وتدرس آثارها وذلك قبل التعبير عنها تعبيرا فنيا شاملا .

السؤال التاسع عشر :

■ في الفترة التي كتبت فيها رواياتك التاريخية ظهر معك كاتب اخر هو « عادل كامل » اصدرروايه تاريخية هي « ملك من شعاع » وعندما انتقلت الى مرحلة الرواية العصرية ، انتقل معك ايضا فاصدر رواية عصرية ممتازة هي« مليم الاكبر » . ويبدو انه قد زاملك في الموهبة وفي الظروف الفكرية .. ولكنه لم يواصل الكتابة بينما سرت انت .. فهل تلقى لنا بعض الضوء على قصة هذا الكاتب ؟

الاجابة :

« عادل كامل » من طليعة كتاب جيلنا بغير جدال ، و « ملك من شعاع » و« مليم الاكبر » من عيون الادب العربي المعاصر ، ويمكن ان نعد مؤلفهما رائدا لمدرسة ادبية اتضحت معالمها فيما بعد .

وقد وجد نفسه ـ حيال مسؤولياته ـ ان عليه ان يختار بين الادب والمحاماة . وواجهته الازمة التي واجهتنا والتي كانت السبب في اتجاه بعضنا الى الصحافة او السينما او الجمع بين الوظيفة والادب والسينما والصحافة .. ولما كانت طبيعته تابى الحلول الوسطى فقد قرر التفرغ للمحاماة . وبذلك خسر الادب العربي اديبا لا يعوض بحال. ولكني لا استبعد ان يعود الى الادب يوما ما .

السؤال العشرون :

■ لا شك انك استمعت الى كثير من الاراء النقدية في انتاجك . اي هذه الاراء كان اعمق اثرا في نفسك ؟ وهل تعتقد ان هناك شيئا ستتجنبه في كتاباتك القادمة ؟

الاجابة :

واجهني نوعان من النقد : نقد يتعلق باللغة او بالتكنيك القصصي ، وهذه امور قابلة للتغيير ، ويمكن الاستفادة فيها من النقد العام او الخاص . بل ان المواظبة على الكتابة من شانها ان تدفع بالكاتب فيها الى الامام دائما .

ونقد اخطر شانا يتعلق بموقف الكاتب من الحياة كما ينعكس من عمله الفني ، وبالجوانب التي يهتم بابرازها في تجربته الفنية . وفي ذلك قيل كلام غير قليل عن التحليل والتعليل والتفاصيل . هذه الامور اشد التصاقا بطبيعة الكاتب ، وتغييرها ليس بالهين . ولا هو بالامر اليسير الخطورة .

وبخاصة انني ما سمعت رايا في ناحية الا وسمعت رأيا معارضا من الناحية الاخرى .

سمعت ان التفاصيل عندي كثيرة ولا داعي لها . وسمعت ان اهم ما تمتاز به قصصي هي التفاصيل .

وقيل لي ان تحليلك متعب . وقيل لي انني لا استحق القراءة الا لتحليلي .

فوجدت ان اسلم طريقة هي ان اعبر عن نفسي باخلاص ، وبالطريقة التي يستكمل بها التعبير في نظري .

وان للقارىء ان يأخذني بخيري وشري ، او يبحث عما يريحه من ناحية اخرى ..

وهذا هو الطبيعي والاسلم .

القاهرة

فاروق شوشة